

تطور المقال في الصحافة العربية في تشادي

د. محمد أحمد محمد

دكتوراه فلسفة في النقد الأدبي - ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة آدم بركة سابقا ٢٠٢٣ م

مستخلص الدراسة:

تسلط هذه الدراسة الضوء على فن المقال في الصحافة العربية التشادية، ومراحل تطوره، وتأخذ الصحافة حيزا لا بأس به من هذا البحث، لأنها الوعاء الذي يحمله، وتطورها، بالضرورة هو تطور له، وتأخره بالضرورة أيضا تأخر لها. وتم توزيع البحث إلى عناوين جانبية وفقرات صغيرة ومتنوعة، تسهل للقاري فهمه، يتقدمها تمهيد تحدث عن المقال في الأدب العربي قديما وحديثا، ومن ثم عرج إلى تاريخ الصحافة التشادية أيام الاستعمار، ودراسة نماذج من بعض المقالات التي وردت في صحيفة (كوكب التشاد) التي أنشأها المستعمر الفرنسي نفسه.

من ثم تخلص الدراسة إلى المقال العربي في الصحافة التشادية، والعوامل التي كانت سببا في تأخره، ثم المستجدات التي ساعدت في تطوره، والمخاطر المحدقة به، رامية إلى إنهائه من جديد.

وتضرب الدراسة نماذج وأنواعا مختلفة للمقال، مع تقديم تحليل له، وتعليق يبرز الحال التي وصل إليها من جدية، تسير الواقع الذي يعيشه المجتمع، من قضايا سلبية، وما يقدمه من أفكار تساعد المختصين في تلافوها.

Abstract:

The study will conclude

This study sheds light on the art of the article in the Chadian Arabic press and the stages of its development. The press takes a fair amount of space in this research, because it is the vessel that carries it, and its development is necessarily its development, and its retardation is necessarily also its retardation. The research has been divided into various subheadings and small paragraphs that facilitate the reader's understanding of it, preceded by a preface that talks about the article in Arabic literature, ancient and modern, and then turns to the history of the Chadian press during the

colonial period, and studies samples of some articles that appeared in the newspaper (Planet Chad) established by the French colonialist himself.

The study then concludes with the Arabic article in the Chadian press, the factors that caused its delay, the developments that helped in its development, and the dangers facing it, aiming to end it again.

The study presents different models and types of the article, analyses them, and provides a commentary that highlights the state of seriousness it has reached, keeping pace with the reality in which society lives, including negative issues, and the ideas it offers to help specialists avoid them.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، ملك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الناس جميعا محمد بن عبدالله الصادق الأمين، الذي بلغ رسالته بلسان فصيح مبين، ثم الصلاة على صحابته الذين نهجوا طريقه، ونشروا دعوته في الكون جميعا، وعلى آلهم وكل من سار على نهجهم إلى يوم الدين، ثم أما بعد....

فإن هذه الورقة العلمية تتناول تاريخ المقال في الصحافة العربية التشادية، وتعتبر أول محاولة تدرس المقال التشادي، وتاريخ الصحافة في تشاد، مع تسليط الضوء على الحالة التي مرت بها إلى يومنا هذا. وقد قام الباحث بتعريف المقال، وأول ظهوره في العالم العربي، وتطوره حتى وصل إلى المجتمع التشادي.

وحديثنا عن المقال الأدبي بالضرورة يجزنا على تسليط الضوء على الصحافة العربية التشادية، لأنها الوعاء الذي يحمله، وهو أحد العناصر الرئيسية في تشكيلها، لولاه لما سميت صحافة، ومن هنا قام الباحث بدراسة تاريخية للصحافة العربية في تشاد منذ ظهورها، حتى وصلت إلى الحالة التي وصلتها اليوم. ومن ثم تناول الباحث بعضا من النماذج المقالية بمختلف أنواعها، وقام بدراستها وتحليلها؛ ليضع القارئ في صورة شبه واقعية للمقال العربي بمختلف أنواعه في الصحافة التشادية.

وفي نهاية الورقة قام الباحث بوضع خلاصة لما توصلت إليه الدراسة، مع تقديم المقترحات التي تفيد الكتاب والباحثين الذين يوجهون أقلامهم لدراسة المقال، خاصة في مجال الدراسات العليا.

تعريف المقال:

المقال فن من فنون النثر العربي، يمكن أن يكون وليد العصر القديم، كغيره من فنون النثر^(١)، وهو يقوم على ملاحظة الحياة، وتدبر ظواهرها، وتأمل معانيها^(٢). لكن ليس هناك ما يثبت أن المقال بمفهومه الحديث كان موجودا، ولكن في العصر العباسي، عندما ازدهرت الحضارة، وتنوعت مصادر الثقافة، واتسعت دائرة المعارف الإنسانية، بدأت أولى مراحل تطور النثر العربي، وكان المقال ضمنها^(٣). للعرب حظ عظيم مع فن المقال، يرجع إلى عهود موغلة في القدم، وعليه يعتمد الباحثون في دراسة تطورهم العقلي، والمرتبة التي بلغوها في ترمسهم بالحياة، واختيارهم لها، وتأملهم معانيها، ثم إن له فائدة أخرى، فهو يختلف عن الشعر بصوره في الأكثر على عامة الشعب وأشباههم، بينما يصدر الشعر عن طبقة ترتفع بعقليتها عن مستوى العوام، وتلتبس لفنها ألوانا من الصقل والتهديب، لا يابيه لها أصحاب الأمثال الذين اعتادوا أن يلقوا بها في المناسبات التي تعرض لهم، تعبيرا سادجا سريعا عن احساس فطري تلقائي، وهذا هو شأن الأمم جمعاء في أطوار بداوتها^(٤). وقد أراد مونتني للمقال أن يكون صورة صادقة عن احساسه بالحياة وتأمله لها، لا يلحقها أي تشذيب أو تصنع^(٥).

إن المقال لم يعد اليوم فنا من الفنون الأدبية، التي تتجلى فيها قدرة الأديب على الإبداع، إذ تحول إلى أداة سريعة في يد الصحافة^(٦).

(١) - ينظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة-مصر، ص ٩.

(٢) - فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، ط ٤، ١٩٦٦، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ص ٨.

(٣) - ينظر: تاريخ الأدب العربي، ص ٩.

(٤) - فن المقالة، ص ٩.

(٥) - فن المقالة، ص ٩.

(٦) - فن المقالة، ص ٣.

ظهور المقال في الأدب العربي القديم

إن أول ظهور بذور المقال في الأدب العربي يرجع إلى القرن الثاني الهجري، تمثلت في الرسائل الإخوانية وما تدور حوله من مسامرات ومناظرات وأوصاف وعتاب، وإلى الرسائل التي كانت تتناول الموضوعات التي تفرد بها الشعر؛ كالغزل والمديح والهجاء والفخر والوصف^(٧). وخير من يمثل هذه المرحلة من كتاب المقال الأدبي هو الإمام الحسن البصري، خاصة في مقاله المقالة الأخلاقية^(٨). ورسالة عبد الحميد إلى الكتاب، التي تضع دستوراً للكتابة الديوانية، وأخلاق الكتاب، قريبة الشبه بالمقال النقدي الحديث، من حيث الموضوع والأسلوب، وكذلك رسالته إلى ولي العهد، التي تدور حول ما يجب أن تكون عليه أخلاقه في سيرته الخاصة في أخلاقه مع أفراد حاشيته من القواد والموظفين، وحول تنظيم الجيوش، تعتبر مقالا في السياسية وتدبير الحاشية، وما رسالة سهل بن هارون إلى ابن عمه في مدح البخل وذم الإسراف، بأبعد عن المقال الفكاهي، ورسالة ابن المقفع التي تتعلق بنقد نظام الحكم ووجوه إصلاحه، ورسائل الجاحظ، وما فيها من فكاكة عذبة إلا خير مثال على النموذج المقال في الأدب القديم^(٩).

ومن المؤكد أن الفنون الأدبية لا تعرف الثبات، فهي تمر بأطوار من النمو والتطور والتقيح، فينأى اللاحق منها عن السابق، حتى ليتباينان أشد التباين، والعرب في نطاق فهمهم للتعبير الأدبي قدموا بعض الرسائل والفصول الأدبية الممتعة، التي يصح أن ندرجها تحت الأدب المقال، مع شيء من التجاوز والاعتدال في التحديد، شأنهم في ذلك شأن أكثر الأمم التي سبقتهم أو عاصرتهم^(١٠).

المقال الأدبي في العصر الحديث

أجمع مؤرخو الآداب الغربية أن المقال الأدبي الحديث عرف سبيله إلى الحياة على يد الكاتب الفرنسي ميشيل دي مونتيني، عندما اعتزل الحياة العامة، بعد أن كان يعمل في المحاماة، فترك بوردو إلى مزرعته الريفية سنة ١٥٧٠م^(١١).

(٧)- فن المقالة، ص ١٧.

(٨)- فن المقالة، ص ١٨.

(٩)- فن المقالة، ص ١٩ - ٢٠.

(١٠)- فن المقالة، ص ٢٤.

(١١)- فن المقالة، ص ٢٧.

تاريخ ظهور الصحافة العربية في تشاد:

إن أول عهد لظهور الصحافة بتشاد كان على يد الاحتلال الفرنسي، سنة ١٩٥٤م، حيث قام الفرنسيون بإصدار صحيفة باللغة العربية تعنى بالأخبار العامة، والقضايا الاقتصادية، والأدبية، والاجتماعية، سموها (كوكب التشاد)، وكانت تطبع بالكمرون، وتصدر مرة في كل شهر، لكن إدارتها بالعاصمة التشادية (فورت لامي)، شارع برنس بجانب النصب التذكاري لأميل جانتي، تلفون ٨، ص ب: ١٨.

وقد وقع على يد الباحث نسخة تحمل تاريخ ٧ مايو ١٩٥٤، السنة الثانية، وأن التعريف بالجريدة كان ثنائي اللغة، الشق الأول من الجهة اليمنى يحمل التعريف العربي، بينما الشق الثاني من الجهة اليسرى يحمل التعريف الفرنسي. أما الاسم فمكتوب بالعربية فقط، يتوسط التعريفين بالخط العريض، وبطريقة مزخرفة (كوكب التشاد)، والملاحظ أن اسم (تشاد) جاء معرفاً بالألف واللام (التشاد)، ربما يرجع ذلك إلى أن رئيس التحرير كان أجنبياً، أو أن الاسم في البداية كان معرفاً، وفيما بعد تخلص عنه.

تناولت الصفحة الأولى كلمة الافتتاح، ومقالاً عن تربية الماشية، والأمراض التي تصيبها، ثم حفلاً عن افتتاح جسر زالبي الواقع على نهر مايوكيبي^(١٢)، وفي وسط الصفحة صورة لقادة وجنود مصطفىين يحملون بنادقهم، ورجل يرفع العلم التشادي تقريباً. إن كلمة الافتتاح تضمنت حديثاً عن شهر رمضان المبارك، تصدرته البسمة، ثم قوله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ...) وبعدها انطلق المحرر في تبيان فضائل شهر رمضان، حيث قال: "جاء شهر رمضان، شهر الفضل والإحسان، شهر الطاعة والإيمان ونزول القرآن وتلاوة القرآن، شهر الإحسان والإنعام، شهر التبتل والقيام، شهر الطهر من الذنوب والآثام، شهر التقرب من الله الملك العلام بالصلاة في كل ليلة بعد صيام النهار وقهر النفس وكسر شهوتها ...

يتضح من خلال هذه القطعة أن المقال التشادي ما زال لم يتخلص عن طوره البدائي في النهضة الأدبية، إذ كان صاحبه مهتماً بالزخرفة اللفظية، والمحسنات

(١٢) - ولاية مايوكيبي الغرب، تقع على الحدود مع الكمرون، ضمن الأقاليم الجنوبية لتشاد.

البديعية، والسجع المائل في نهاية كل جملة، ومن الممكن أن الكاتب كان ناقلًا لخطبة دينية تحدثت عن فضائل شهر رمضان الكريم، ولما وجد صدور جريدته مصادفًا لشهر رمضان افتتح به. وما يجعلنا نقول بذلك أن بقية المقالات خالية من الزخرفة السابقة. كذلك إن التزام مكتب التحرير باللغة العربية دون غيرها، يبين أنها اللغة السائدة حتى تلك اللحظة بين الوسط المثقف التشادي، وتصدير الجريدة بموضوع شهر رمضان وفضائله يؤكد أن المجتمع ما تزال تسوده الروح الإسلامية، وأن العلمانية التي دخلت مع الاستعمار الفرنسي لم تنتشر بعد، لذلك كانت إسلامية بحتة، وأن تاريخ المقال ١٩٥٤م يتزامن مع إنشاء المدرسة الفرنسية الإسلامية، التي تحولت فيما بعد إلى الثانوية الوطنية الفرنسية العربية، وأن استخدام التاريخ الهجري في مراسيم وتوقيعات الإدارة الفرنسية، كل ذلك يؤكد أن الثقافة الإسلامية ما تزال قوية في محيط الشعب التشادي.

هناك بعض الملاحظات في المقال الثاني، والذي تناول تربية المواشي والأمراض التي تصيبها، منها:

١- أن مجيئه في صدر الصحيفة يؤكد أن الثروة الحيوانية منذ تلك الحقب تعتبر السلعة الرئيسية في إيرادات الدولة، وأن أعدادها كانت هائلة.

٢- أن الأمراض كانت منتشرة، ولا توجد أدوية كافية للقضاء عليها، ولقد تحدث صاحب المقال عن عدد الأمراض المنتشرة وأعراضها، ثم عن طريقة انتقالها، وختمها بكيفية الوقاية منها.

من الواضح أن الطريقة الاحترافية التي تميزت بها جريدة (كوكب التشاد)، تؤكد أن القائمين عليها قدموا من الدول العربية التي قطعت فيها الصحافة شوطًا كبيرًا في مجال مهنة الصحافة.

وفي المقال الذي عرض فيه الكاتب الاحتفال بتدشين جسر (زالبي) الواقع بين مدينة (بالا) التشادية، و(قروة) الكمرونية، ينقل إلينا تفاصيل دقيقة عن أجواء الاحتفال، يقول: في زوال يوم الأربعاء ٢٨ أبريل ١٩٥٤ قام الم. ميرو الكاتب العام بالنيابة عن جناب الوالي النقيب في إجازة بتدشين جسر زالبي الذي أنشئ على ممر مايوكيبي بطريق بالا-قروة.

وكانت طائرة القيادة العليا للقطر قد طارت من فورلامي على الساعة السابعة صباحا و٤٥ دقيقة، بعد أن حلقت على أم قرون وقلندوق وبايلي وبنقور وتيكلم. وكان ألم. ميرو مصحوبا بألم. أودوس نائب رئيس ديوان الوالي والحاكم هابرممان مندوب القطر لمشروع التجهيز والمهندس الرئيس يوبصان مدير الإشغال العامة والمهندس بارتيل نائب مدير الأشغال العمومية. وكان في استقبال الكاتب العام في مطار بالا ألم. دسيزبي حاكم ناحية مايوكيبي....

وبعد عرض موجز لتفاصيل مراسم التدشين، يعرج الكاتب على التفاصيل الدقيقة لجمال الجسر، وموقعه، وما يمتاز به من فنيات، بدقة وتفاصيل متناهية، في حالة تشبه مصور فيديو، فيقول: يجدر بالملاحظة هنا جمال هذه الطريق التي أنشأتها هيئة أشغال الري الكبرى متينة مخطوطة على أحسن وجه، تكثر فيها العلامات والإشارات وهي تقطع مجاري السيول والخنادق لا تبالي بها، بفضل القناطر والتجهيزات الكثيرة، وتسمح للسيارات بقطع القسم الأكبر من المسافة التي بين بالا وليري، بسرعة لا تقل عن السرعة التي يمكن بلوغها في طريق وطنية بفرنسا.

وقبل الوصول إلى ليري يقطع نهر مايوكيبي هذه الطريق، وقد أتيح للشخصيات أن تطلع على الأعمال الجارية لبناء جسر كبير يقوم على ثلاثة أقواس، ويسر اجتياز النهر في كل فصل، وستقطع هذه الأعمال في فصل الأمطار، وتستأنف في شهر أكتوبر، والراجح أن ينتهي بناء هذا الجسر في شهر جوان من السنة المقبلة.

نلاحظ هنا دقة التعبير، وسلامة اللغة، وانتقاء المفردات، ورصانة الكلمات، واستخدامها فيما وضعت له دون زخرفة، وهذه الميزة جعلتنا نعتقد جازمين أن المحررين قدموا من الدول العربية، خاصة شمال إفريقيا، لاستخدامهم بعض المفردات الفرنسية، مثل كلمة (جوان) لشهر يونيو، وكذلك استخدام أشهر السنة الغربية، لأن التشاديين في حينها يستخدمون الأشهر الإسلامية.

كذلك من الميزات التي اتسمت بها كتابة المقال في جريدة كوكب التشاد، استخدام الصور الفوتوغرافية، التي كانت نادرة في تشاد في ذلك الزمن، كل ذلك يؤكد أن هذه

الجريدة تشادية بخبرات أجنبية، لأن المستوى الذي بلغته لم تصله حتى الصحف التي جاءت بعدها.

الملاحظ أن الفرنسيين الذين رعو "كوكب التشاد"، وما أن خرجوا عن تشاد، حتى تخلوا عنها، فتوقفت عن الصدور مع بواكير فجر الاستقلال. إذ كان الهدف من تأسيسها توجيهه على الرأي العام، وبث الفكر الاستعماري، وليبرهنوا للمواطن أنهم لا يكرهون العربية.

ولما أخذت البلاد استقلالها خافوا على لغتهم، فأخذوا يرعون الصحف المكتوبة بالفرنسية، وخلال تلك الأوقات تخرج عدد لا بأس به من المواطنين في المدارس والمعاهد الفرنسية، استلم عنهم مقاليد الدولة، وجعلوهم نخبة سامية، وأن لغتهم وثقافتهم هي الأفضل، تضيفي على حاملها مظهر العصرية في نظر المواطن البسيط، لذا كان لزاما عليهم دعم ثقافتهم، وتمكين المتعلمين بها من السيطرة على مقدرات الدولة، سياسيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وعسكريا. وفي الحين همشوا المواطنين ممن لا يجيدون لغتهم، ولا يتمثلون ثقافتهم.

من هذه الأثناء أنشأوا مجموعة من الصحف، كالـ progress، وLe temp، وN'DJAMENA HEBDOT، وL'OBSERVATEUR، و ABBA GARDE، وغيرها، ووفروا لها الإمكانيات اللازمة، وقدموا لأصحابها الوسائل والدورات التدريبية العالية، وأحاطوهم برعاية كافية، تحميهم من الملاحقة القانونية، وتكفل لهم حرية الرأي. وفي الوقت نفسه حرمو الصحافة العربية من أي عناية أو رعاية، وضيقوا على أصحابها الخناق، ولا يوفروا لهم أي سند قانوني يقيهم شر الملاحقة، ولا يتلقون أي تدريب، وعليه ما أن تشهد الساحة الإعلامية ميلاد صحيفة عربية، حتى ترجع غدا فتموت، وإن صمدت فيعود ذلك لإرادة الله.

مع بداية سبعينات القرن الماضي، ظهرت صحيفة أخرى باسم (أخبار تشاد) تصدرها السفارة التشادية بالقاهرة، وهي مزدوجة اللغة، شقها الأول باللغة العربية، والشق الآخر بالفرنسية، ثم توقفت هي كذلك عن الصدور. وفي سنة ١٩٨٢م قام نظام حسين هبري بإصدار صحيفة (الوطن) وتعنى ببث الأخبار السياسية، وأفكار نظام (أنير).

ومع بداية عهد الإنقاذ بزعامة إدريس ديبي، ظهرت عدة صحف مستقلة، وإن كان أغلبها غير مستقل بالمعنى التام، مثل صحيفة (LE PATRIOTTE) التي تمول من قبل الحزب الحاكم. وصحيفة (النصر) التي يترأسها أبوبكر عبدالله بركو، ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد عبدالمجيد، وقد توقفت عن الصدور، وهذه أيضا تتلقى تمويلا لا بأس به من قبل النظام الحاكم. ومن الصحف العربية التي ظهرت في الساحة الشاذلية ثم توقفت صحيفة (الديمقراطية)، قام بإنشائها الأستاذ أحمد عبدالمجيد بعد أن تخلى عن العمل في صحيفة (النصر)، وأصدر منها عددا مقدرًا، ثم ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية في دورة تدريبية، ومن يومها توقفت هي كذلك. ثم ظهرت صحيفة (البحيرة)، الذي ترأس مجلس تحريرها الأستاذ كبرو حسين، بمساعدة الصحفي الراحل سنوسي سعيد، لكنها أيضا توقفت بعد حين عن الصدور.

وجريدة (الاستقلال) الأسبوعية، التي أدارها عبدالرحيم موسى، ورئيس تحريرها محمد علي حكار. وصحيفة (أنجمينا اليوم) التي يديرها الأستاذ يوسف دهب، وقد عملت نقلة نوعية في مجال الصحافة الشاذلية، على المستوى التحريري؛ حيث ضمت مجموعة من الصحفيين المتمرسين، الذين عملوا في هذا الحقل في العالم العربي قبل التحاقهم بها. وعلى مستوى الطبع، فقد انتقل بها أصحابها من الطباعة على الآلة الكاتبة، إلى الكمبيوتر، ومن التصوير العادي إلى الطباعة الحديثة الملونة، نظرا للدعم السخي الذي كانت تتلقاه من بعض سفارات الدول العربية، كسفارة المملكة العربية السعودية، وسفارة ليبيا، لكن في فترات لاحقة، وبعد الاضطرابات التي تعرض لها العالم العربي، كحرب الخليج مثلا، توقف الدعم السعودي. ولما مرت ليبيا بظروف الربيع العربي، وحالة الفوضى التي جاءت بعد ذلك أيضا توقف دعمها، فتوقفت الصحيفة عن الظهور.

إن الضغط الاجتماعي أجبر الحكومة - خاصة بعد ١٩٩٠، وانعقاد المؤتمر الوطني المستقل، ومجيء العربية لغة رسمية للدولة إلى جانب الفرنسية، اجبر الدولة على إعطاء الصحافة العربية أيضا شيئا من الرعاية، يتلقى أصحابها الدعم السنوي المخصص لهم من الدولة، ويشاركون في الدورات التأهيلية، والمسابقات المهنية، وإن كان ذلك ليس كافيا.

فالصحف التي ظهرت ثم اختفت كثيرة، منها: الشروق، النهضة، الاستقلال، الرأي، البطحاء، الحياة، الخبر، اليقظة، الصحوة. كلها ظهرت ثم اختفت، وقد تعاود الظهور ثم تختفي، وهكذا.

كذلك من الصحف التي حولت مجرى الصحافة في تشاد، صحيفة **(لاليكيم)** التي أدارها مجموعة من الشباب التشاديين القادمين من السودان، برئاسة آدم عثمان، والمرحوم سليمان عتيل، فقد سارت على نهج الإثارة، وتناول القضايا الاجتماعية المثيرة للجدل، وفضح الأسرار، والتعرض لبعض الشخصيات بالجرح، والنقد، والنقض، وذلك جعل الناس ينتظرون صدور أي عدد منها بفارغ صبر، لأن المجتمع قد ضاق ذرعا بهؤلاء المتسلقين، والنفعيين، وأن تناول الصحف لقضاياهم يخفف وطأة الغبن الاجتماعي ولو لحين. والتحول الذي أحدثته صحيفة **(لاليكيم)** نستطيع أن نسميه بداية ظهور الصحافة الشعبية في تشاد، إلا أنها توقفت عن الصدور نتيجة للاضطراب السياسي، والزعل الدبلوماسي الذي مر على العلاقات التشادية السودانية مع السنين الأولى من بداية القرن الحادي والعشرين، خاصة بعد أن وصل المتمردون التشاديون المنطلقون من الأراضي السودانية العاصمة أنجمينا، وكادوا أن يطيحوا بالرئيس إدريس ديبي، لكن بعد أن انقشعت الغيمة، أعلنت الحكومة عبر الإذاعة بضرورة خروج جميع الرعايا السودانيي من الأراضي التشادية، فظن القائمون على الصحيفة أن الأمر يخصهم بالدرجة الأولى، وسرعان ما هربوا وتركوها بلا مغيث، ومن حينها اختفت عن الأنظار. إلا أنها عادت تظهر من جديد، مع نهاية ٢٠١٧م.

ثم ظهرت صحيفة **(الأضواء)**، التي يديرها بابكر محمد أحمد، وقبلها **(أنجمينا الجديدة)**، التي أسسها الراحل آدم محمد فضل عام ٢٠٠٦م، وتعاقب على رئاسة تحريرها عدة مسؤولين. وقد تطور العمل الصحفي مع هاتين الصحيفتين إلى درجة عالية، خاصة **(أنجمينا الجديدة)**، التي يكتب بها عدد كبير من الأساتذة الجامعيين، بحكم القرب من جامعة الملك فيصل بأنجمينا، وأنها تلتزم مبدأ الحياد، فتتشر لكل المثقفين، بشتى توجهاتهم الفكرية والأيدلوجية والسياسية. وهنا تكمن الحرية والحيادية التي ينشدها الناس جميعا. صحيح أن أنجمينا الجديدة ينقصها التمويل القوي الذي يضعها في

مصاف الصحف الكبرى، لكن ما يرد فيها من أخبار، وما يتوارد فيها من مقالات في شتى المجالات، والتزامها بمواعيد الإصدار، ووجود وكلاء لها في الأقاليم، يوزعونها إلى القراء، كل ذلك جعل منها السبّاقة في مجال الصحافة العربية التشادية.

الملاحظ في كثير من الصحف التشادية أنها لم تنشأ كمؤسسات، ويتعاقب على عملها الأفراد، ولكنها تؤسس ملكاً لأشخاص، وتسير وفق ظروفهم الشخصية، ولهذا السبب لم يكتب لكثير منها الاستمرار.

ورغم هذا فإن الصحافة قامت بدور كبير في تطور العربية، واستعادتها لسابق عهدها، لمحافظتها على استخدام العربية الفصحى؛ من خلالها يتلقى القارئ الأخبار، والثقافة، والأدب، ويتزود بالمفردات الرصينة، والكلمات المعبرة عن محتواها بدقة، دون اللجوء إلى الكلمات الأجنبية، كما يحصل من قبل الإذاعة التشادية، والفضائية الوطنية، خاصة في نشرات الأخبار الدارجة، والبلاغات؛ ينزل بعض المذيعين باللغة إلى مستوى السطحية، واستخدام المفردات السوقية، وبعض الأحيان يستخدمون مفردات أجنبية، لأنهم لم يتخرجوا في معاهد اللغة العربية ولا كلياتها، وليست لديهم ذخيرة لغوية تؤهلهم للكتابة بالعربية الجيدة، وإنما تعلموا مفردات العربية الدارجة، المستخدمة في الشارع التشادي، أما تعليمهم فيتم في المدارس الفرنسية، فيقومون بكتابة الخبر باللغة الفرنسية، ويترجمونه للمستمعين ارتجالاً، يتصرف أحدهم وفق إرادته الشخصية، وقدراته الضعيفة، وقديماً قالوا: فاقد الشيء لا يعطيه، رغم وجود خريجي المعاهد والكليات العربية، وبالتأكيد أن مثل هذا لا يرتقي بمستوى المواطن لغوياً، ولا يدفعه إلى اكتساب مهارات لغوية، ولا صقل عقلية بمفردات جديدة؛ لأن القائمين على الإذاعة والتلفزيون لا يريدون تمكين متلقي اللغة العربية من العمل في هذا المجال، لأن تمكينهم تمكين للعربية، لكنهم ظلوا طوال العقود المنصرمة يسعون إلى محاربة العربية، وتهميش أهلها، لينفردوا بالساحة الإعلامية، رغم معرفتهم المطلقة بأهميتها في الوسط الاجتماعي التشادي. وأدل على ذلك أن أغلب البلاغات التي ترد إلى الإذاعة يطالب أهلها لتبث بالعربية.

كما يشهد على مكانة العربية في قلوب المجتمع، أن جله محافظ على متابعة النشرة التلفزيونية المسائية، ولا يغيب عنها أحد إلا للضرورة، رغم وجود النشرة الفرنسية التي تبث بعدها بساعة.

رغم دستورية المساواة بين العربية والفرنسية في التعامل الرسمية، إلا أن ذلك ما يزال حبرا على ورق، فرغم المساحة الزمنية الكافية، إلا أن الزمن المخصص للعربية حتى اليوم لم يتجاوز العشر، ورغم وجود الكادر المؤهل بالعربية، لم يستطع أحد أن يكسر حاجز التهميش، ويفرض تقديم مساحة كافية للعربية، مع أن أهلها متحمسون لتقديم خدمة إذاعية مفيدة للمجتمع.

إن آلة الحرب التي وجهها القائمون على الإعلام التشادي ضد العربية، فرض أمرا خطيرا على المواطن، وهو عدم متابعة هذا الإعلام إلا حينما يبث نشرة الأخبار الرئيسية، وبعد ذلك يغير الموجة الإذاعية إلى القنوات الإعلامية الأخرى، سواء كانت مسموعة أم مرئية، ومتابعة برامجها المختلفة، فيتلقى ثقافة أجنبية مغايرة لواقعه، لأنها تلبي رغبته ولو يسيرا، كثير من تلك البرامج التي يتابعها أنشئت لتلبية لرغبات مختلفة عن واقعنا، وبعضها قد يحمل أفكارا لا تتماشى مع عاداتنا وتقاليدنا، وبعضها قد يحمل سموما تعرقل حياتنا الاجتماعية، وتدفع بالشباب إلى الانحراف. وبعضها يحمل أفكارا سلبية، قد تدفع بالشباب إلى التزود بأفكار منحرفة دينيا، ربما تنتهي به إلى الوقوع في أحضان الجماعات الإرهابية، أو الطوائف الدينية المنحرفة، أو اكتساب أفكارا معادية لمجتمعه.

فالإعلام التشادي رغم قلته، فإنه لا يقدم المطلوب منه في كثير مما يبث، وعندما نلتقي القائمين عليه، ونسألهم عن عدم تقديم برامج مفيدة، يحيلون السبب إلى قلة الميزانيات، مع العلم أن الكثير من البرامج لا تكلف ميزانية كبيرة، لوجود المتقن التشادي المتبرع بفكره ووقته، ووجود الفراغ الزمني في الخارطة الإذاعية، وبعض البرامج المفيدة لا يعاد بثها إلا مرة واحدة، بل على العكس من ذلك يقدمون برامج وأغاني أجنبية، لا تليق مع واقعنا الثقافي، ولا تكويننا الاجتماعي، حتى أضحى إعلامنا كأنما كلف بهدم القيم المحلية، وخصوصياتنا الاجتماعية، والثقافية، والفنية.

إلا أن الصحافة المكتوبة تقدم مادة مفيدة إعلاميا، وثقافيا، لحريتها فيما تقدم من أفكار، واستقلالياتها في طرحها للقضايا، بل إنها تنتشر أفكارا قد لا تعبر عن رأي القارئ عليها، وهو ما جعلها مقربة إلى قلوب المجتمع أكثر من الإعلام المرئي والمسموع، لكنها في الوقت نفسه لا تخاطب غير المثقفين، أي أن الذي لا يقرأ لا يتابعها، والغالبية العظمى من المجتمع التشادي أمي، مما يجعل أثر الصحافة المكتوبة ضعيفا في توجيه الرأي العام في تشاد.

ومن الأسباب التي ساعدت الصحافة العربية أن تتطور في محتواها، ترجمة بعض المقالات التي وردت في الصحافة الناطقة بالفرنسية، لأن الكثير من كتاب الأعمدة فيها محترفون، ومتمرسون في الكتابة، ولديهم الجرأة في الكتابة بحرية قد تكون مطلقة في بعض الأحيان، هذه المقالات الجريئة أثرت في الكتاب بالعربية، حتى أضحى الكثير منهم يتخذ هذا النهج نفسه، بعد أن كان أغلبهم ينأى بنفسه عن الكتابة السياسية الجريئة، وخلال سنوات من نشر تلك المقالات المترجمة، ظهر مجموعة من الشباب بأقلام جريئة بل ومناوئة للتسيير الحكومي، يفضحون فيها المختلسين للمال العام، ويشددون في شتم وفضح المتهملين، خاصة الناطقين بالعربية منهم. هؤلاء الكتاب الشباب كثر، من بينهم: د. محمد شريف جاكو، د. محمد صالح ضواي، وأبو بكر عبدالسلام، إبراهيم زين كونجي، وأبو يوسكي، وأحمد طه، والفرزدق سعيد أبكر، وعبدالرحمن يحيى صالح، د. محمد أبكر عيسى، وأبكر إدريس. والكثير ممن اشتهروا بالجرأة يعيشون خارج تشاد.

ومن الأسباب أيضا ظهور برنامج الصحافة في أسبوع بالإذاعة التشادية، وقد انطلق على يد العملاق الرحل سنوسي سعيد، وتعاقب عليه مكاي جبر عبدالرحيم، ثم بعد وفاته، قام عليه عبدالصادق علي أحمد، وقد كان يعرض فيه المقالات الواردة في الصحف جمعاء، والعربية على وجه الخصوص، كان البرنامج دافعا ومشجعا للكثير من الكتاب على مواصلة الكتابة، لأن الإذاعة تغطي كافة ربوع الوطن، ويستمتع لها أغلب المواطنين.

صحيح أن المقال في الصحف العربية التشادية أخذ يتطور شيئاً فشيئاً، خاصة مع ميلاد عصر الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، فقد انكسر حاجز الانغلاق، وصار الكتاب يطلعون على مقالات الكتاب العالميين، وطرائقهم في عرض أفكارهم، وأكبر أثر نلمسه في هذه المرحلة هو:

١- الطريقة المكثفة، وعرض المعلومات بطريقة موجزة، حيث لم يعد المقال متجاوزاً للصفحة الواحدة. كذلك الاعتناء بالدقة في العرض، وتجنب الأخطاء الإملائية واستخدام اللغة السهلة الواضحة التي تقترب من لغة الشارع.

٢- الحدة في النقد، واستخدام الأسلوب الساخر أحياناً.

٣- اللجوء إلى إبراز الأخطاء التي يرتكبها العاملون في الدولة، ويبرز أسماءهم، دون التلميح. وهنا يبرز دور هامش الحرية الذي أعطته الدولة للمواطنين منذ ميلاد الأول من ديسمبر ١٩٩٠.

٤- حماس الكتاب، خاصة الشباب منهم في إبراز مواهبهم في الكتابة، لأن الصحف لا تضع قيوداً أمامهم، بل أنها تكتفي بالإشارة إلى أن ما يرد في من معلومات في الصحيفة ليس بالضرورة أن يعبر عن أفكار وميول القائمين عليها.

٥- يضاف إلى ذلك أن فتح المجالات في العالم العربي أبوابها أمام الكتاب التشاديين أيضاً ساعد في تطور المقال، إذ صدرت لبعض الكتاب أمثال المرحوم الشاعر عبدالواحد حسن السنوسي، وعزالدين مكي إسحاق، والمرحوم الشاعر عيسى عبدالله، الذي كانت أعمدة دائمة على الصحف والمجلات الليبية، وكان لهذا الفتح دفعة قوية لكتابة المقال التشادي، حتى أضحت الكتاب التشاديون محترفين إلى درجة الامتياز. ورغم ذلك فإن عدم وجود مجلات دورية في تشاد كان عائقاً أمام الكتاب، لأن الإصدارات الأجنبية قد لا تصل إلى القراء المحليين، أما إن توفرت مجلات محلية، وكانت مشجعة للكتاب، وتدفعهم نحو الكتابة الرصينة، لانتساع أعمدتها، ومساعدتها أفسح من أعمدة الصحف، التي لا تتجاوز النصف صفحة أحياناً.

ولكن الأمر اختلف خلال الخمس سنين الأخيرة، بعد أن فتح المجال أمام الأساتذة الجامعيين للترقيات العلمية، بتوقيع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار

التشادية، والمجلس الأعلى للجامعات المصرية، يترقى الأساتذة التشاديون من خلال هذه الاتفاقية، كان هذا الأمر دافعا قويا للكتاب المحترفين، في نشر الكثير من البحوث العلمية المتخصصة في مجلات العالم العربي وغيره.

الصحافة الالكترونية:

إضافة لما ذكرناه عن الصحافة الورقية، ظهرت في بداية القرن الحادي والعشرين الصحافة الالكترونية، وشبكات التواصل الاجتماعي؛ مثل الفيسبوك، والتويتر، والانستقرام، والتلقرام، والواتس آب، واليوتوب..... وقد مثلت هذه انقلابا كبيرا في مجال الكتابة الصحفية، وأسهمت بقوة في تطور الرأي العام، حتى أصبحت منبرا لجميع الكيانات؛ السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والحرفية، الكل يعرض أفكاره دون أي عوائق، ودون أدنى رقيب، اللهم إلا مراقبة الإنسان بنفسه لما يكتب، وما ينشر، كما شكلت هذه المنابر ساحات رحبة لتلاقي الناس، وطرح أفكارهم بكل صراحة، ومناقشة الرأي الآخر بكل حرية، ومواجهة أية فكرة إما بتأييدها أو بما يدحضها. وهذا النوع من الصحافة لا يكلف المرء إلا هاتفًا جوالًا ورصيدًا من شركات الاتصال، ثم يفتح أمامه عالم رحب، ومساحة لا حدود لها، ومكتبات لا حصر لما تنشره، يلتقي بأصدقاء من أنحاء العالم، يتواصل معهم بسرعة أقوى من سرعة البرق. هذه الوسيلة شكلت نقطة تحول كبرى لدى الناس، وسعت من مداركهم، ووفرت لهم ما يحتاجون إليه من ثقافة، وتعليم، وقاربت بين الأفكار، وسهلت طرائق الوصول إلى المعلومات، وكسرت الحواجز الطبيعية التي كانت تعيق التواصل بين سكان هذا الكون، وأصبح تلقي المعلومة متاحا للجميع، لا، بل أصبحت منبرا يلتقي فيه المثقفون والبسطاء، يشترك الناس جميعا في صنع الفكر، ومناقشة القضايا العامة، وهذا يدفع بالتأكيد إلى الاستئثار غير الشعورية عند كثير من الناس. وقد عودتهم تلك المناقشات أن يستقلوا بتفكيرهم، وأن يكونوا آراءهم الخاصة في مختلف الشئون التي تعرض لهم، واتجهوا نتيجة لذلك إلى التبسيط في الحديث، والترخيص في اللغة وأسلوب المحاور، وكان كتاب المقالات يشاركون في مثل تلك المناقشات، ليصيّدوا النماذج الحية، والصور الفكاهة التي ينقلونها إلى صحفهم، بعد

أن يحيلوا فيها أقلامهم، ويعرضونها على القراء عرضاً يتضح بالسخرية المرة، والنقد اللاذع، بقصد إصلاح ما فسد، وتقويم ما اعوج من أخلاق الناس وعاداتهم.

إن كثرة المنشور في الصحافة الالكترونية، وسهولة تنقل القراء بين المقالات، أجبر الكتاب على التركيز والاختصار الشديد فيما ينشرون، لأن القارئ ليس لديه الوقت للاطلاع على المقالات الطويلة.

إذن تطور المقال، واتسع في العصر الحديث، بظهور الجرائد والصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية، وتعدد كتابه، وانقسم المقال تبعاً لهذا التطور إلى أنواع مختلفة، لكل مميزاتة^(١٣)، التي تتلخص في الآتي:

١- المقال الأدبي:

هذا الفن النثري يحتاج إلى تخير اللفظ، وقوة السبك، والتحليق بالخيال بتخير الكلمات ذات المعاني السامية، حتى يخرج الكلام مشرقاً منيراً، لطيفاً في النفوس، حلو النبر في الأذان، وذلك يكون بالخبرة الطويلة في المجال الأدبي، حتى يكون الكاتب مبدعاً، سريع التقبل عند المتلقي.

أما من حيث المحتوى فإن هذا النوع من المقالات يدور حول الموضوعات العامة، التي تتصف بصفة الاستمرار والثبات، وتتعرض للمجتمع في مختلف مراحل تطوره، كالتي تدور حول بعض الصفات الخلقية، مثل التواضع والحلم والسماحة والكرم والغرور والجشع، أو حول بعض العلاقات الاجتماعية، كالصداقة، والزواج، وأدب الحديث، وحسن العشرة، والتربية الصالحة... أو حول الموضوعات الطارئة التي تجدد في المجتمع عند تغير بعض العادات والتقاليد والأزياء، كالحفلات التتكرية والمبارزات واستنشاق السموط وتطور أزياء النساء والرجال... وما يتصل إلى ذلك من أسباب^(١٤).

(١٣)- سيد قطب الأديب الناقد، عبدالله الخصاص، مكتبة المنار، الأردن، ط ١٩٨٣م، ص ٢١٢.

(١٤)- فن المقالة، ص ٥٣- ٥٤.

ولم يعد هذا النوع من المقال مقتصرًا على حياة المدن، بل تناول مختلف الموضوعات، والكاتب يتناول ما يروق له فحسب، بل أصبحت موضوعاته تعتمد على مدى اتساع ثقافته، وعلى مدى تنوع اتصاله بالحياة العامة^(١٥).

ويرتبط تاريخ المقال في أدبنا العربي عامة بتاريخ ظهور الصحافة، فالمقال الذاتي والموضوعي لم يظهر في أدبنا على أنه مستقل، بل نشأ في حضن الصحافة، واستمد منها نسمة الحياة منذ ظهورها، وخدمت أغراضه المختلفة. ومن أشهر الكتاب في بداية عصر النهضة الحديثة رفاة الطهطاوي وعبدالله أبو السعود، وميخائيل عبدالسيد... وقد نشروا مقالاتهم في الوقائع المصرية، ووادي النيل، و يرتبط تاريخ المقال في أدبنا العربي عامة وادي النيل وروضة الأخبار ومرآة الشرق على التوالي، وقد ظهر المقال على أيديهم بصورة بدائية فيها التكلف المصطنع المسيطر على السجع، والزخرفة اللفظية^(١٦).

ويرتبط تاريخ المقال في أدبنا العربي عامة فقد نشر الأستاذ تيراب عبدالكريم أحمد مقالًا أدبيًا فيه نقد للواقع الاجتماعي والسياسي، بطريقة سردية وحوارية راقية. وقد اتسم هذا من المقال منذ بداية ظهوره في الصحف اتسم بالطول، والكاتب حر طليق، لا يلتزم بتوجيه، بل انه يعكف على ذاته، ليهتم بتجليها في الأدب، وقد ازداد طول المقال بسبب تغير نظام الصحف، واعتياد القراء على قراءة الأبحاث الطويلة، مما أفسح المجال أمام الكتاب لعرض آرائهم وصورهم في إسهاب^(١٧). نشره بصحيفة أنجمينا الجديدة، على شكل سلسلة في ثلاث حلقات، نشرت في الأعداد: (٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠) لسنة ٢٠١٥م، وقد عنون له بـ(نحو أي المراسي تتجه السفينة إثر اختفاء ربانها حاكم المدينة)، يقول في بداية مقاله القصصي:

"جلس الشيخ ذات يوم على مقعده العالي، محاطًا بالتلاميذ والمريدين وأصحاب المعالي، في درسهم المعتاد الذي يجلب القاصي والداني، وكعادتهم الشيوخ قبل بدء

(١٥) - فن المقالة، ص ٥٧ - ٥٨.

(١٦) - فن المقالة، ص ٦٥.

(١٧) - فن المقالة، ص ٥٩.

الدرس محمد شيخنا فحوقل، وحمدل، وقال سنتطرق اليوم في درسنا التالي (الباب الكرامات) من كتاب نحو أي المراسي تتجه السفينة إثر اختفاء ربانها حاكم المدينة، لصاحبه السمكري صاحب المزاج النبي المتوفى سنة ألفين ونيف. فقهقه أحد التلاميذ وقال: أيها الشيخ الجليل ألا ترى معي أن عنوان الكتاب من الطول بمكان؟

فحملقه الشيخ بعين يتطاير منها الشرر، تكفي لإبانة الجن والبشر، وقال بصوت جهور متقطع، ووجه مكفهر: ويحكم أيها الشبان من هذا الزمان، تسألون عن أشياء غبية، لا يجوز طرحها إلا بعد تقديم هدية. فأصدر الحضور حممات استحسانا لكلام الشيخ. فقال التلميذ: لقد سألت عن عنوان الكتاب الذي ذكرت يا سيدي من حيث الطول والقصر. فقال الشيخ: أما بعد ... فإذا قلت إن عنوان الكتاب طويل، فليس أطول منك، وإن قلت قصير، فليس بأقصر منك أيضا، وبهذا فهو عنوان بين ذلك، وأسأل الله لك بعدم التذبذب، والأمر سجال بيني وبينك.

وضع الحاضرون بصوت واحد: لقد أضأت يا سيدنا.. وأفصحت.. وأبنت.. وقلت الدر والريحان.. عاش الشيخ مدى الحياة، رغم أنف العجم والفصاح... ويه.. ويه.. ويه. فرفع الشيخ يده اليمنى مباركا الهتاف، وبدت من كم جلبابه لب إبطه بما فيها ومن فيها. وقال: لقد عرفتموني حقا.. وقد عرفتموني دوما.. أتصدى لكل من هب ودب.. بعلمي.. وعالمي.. وعمالتي وعمامتي".

يتضح للقارئ من خلال هذا النموذج مدى التطور الذي بلغته الكتابة الأدبية في تشاد، فقد وصف الكاتب المشهد بطريقة ساخرة، في ثوب قشيب جميل، منطقي السرد، متماسك المعاني، فما أن يتلوه القارئ، أو يسمعه المتلقي، حتى يلم بتفاصيل المشهد، وكأنما هي مسرحية تؤدي أمامه، في تعبير سلس، بلغة فصيحة بليغة، يلم بها من له أدنى دراية باللغة العربية.

وقد رمز الكاتب لبطله بـ(الشيخ) القاعد على كرسي عال، وهذا اللقب يمكن أن يقصد به صاحبه الحقيقي، ويمكن أن يقصد به حاكم ظالم، ففي كلا الحالتين الأمر سيان، وهنا تتضح لنا لغته الأدبية، حيث يقرأها أشخاص كثر، وكل يفهمها بمعنى مختلف؛ فكم من شيوخنا المتفقيهيين ليس لهم من العلم إلا اسمه، لكنهم يلبسون عباءات

كبيرة ليتصدروا بها مجالس ليسوا أهلاً لها، وحينما توجه إليهم أسئلة، يختلفون الحجج، ويكثر المراءات، يظنون أنها تحميهم من شر الفضيحة.

وكذلك حكام العالم الثالث الدكتاتوريون، يضعون أنفسهم وشعوبهم في حالة تشبه حال هذا المتذاكي وطلابه، ولا يعطون شعوبهم فرصة للتأاور معهم، والاستماع إلى مطالبهم، وقضاء حوائجهم، ومتى قالوا جملة، أصبح كلامهم أولى بالتأييد والتصفيق.

٢- المقال النقدي:

وفيه يعرضون لما يصدر من مؤلفات أو مقالات سابقة وردت في الصحف سابقا، ثم يتعرضون لما ورد في المؤلف من معلومات، وكثير ما يتأولون بالنقد للكتابات التاريخية، لأن تاريخ تشاد شابه الكثير من الغموض بسبب عدم التدوين، وهنا نجد الكتاب النقاد يتعرضون للمؤلف بإحدى طريقتين:

أ- إحداهما أن يكون الناقد مؤيدا للكاتب، ومن ثم يعلي من شأنه، ويعطي قيمة مضافة إلى الكاتب.

ب- الطريقة الأخرى: أن يكون غير راض عن الكاتب، وما احتوى عليه من معلومات، وهنا يعمل جاهدا للنيل من الكاتب وكتابه، دون الالتفات إلى الجوانب الصائبة المتأثرة داخل الكتاب. وهذا بدوره يولد حماسا لدى الآخرين- وربما المنصفين- إلى إجراء كتابة مقالات أخرى، يبينون فيها أماكن الضعف والقوة.

٣- المقال الاجتماعي:

هذا اللون من المقال يحتاج إلى السهولة والوضوح، والدقة في التعبير، لأنه يعالج قضايا اجتماعية، يحتاج إليها جميع أفراد المجتمع، من المستويات العامة والخاصة، لذا يكون الاهتمام فيها بالمعاني، وقلة العناية بالتأق في التعبير.

وقد نهج الكتاب فيها مناهج مختلفة؛ منها أسلوب العرب المسهب، الذي يقوم على التمثيل، والاستشهاد من الكتاب والسنة، والمأثور من الكلام القديم، وكانوا يتبعون الأسلوب الموجز الذي يلتقي بتقديم الموضوع بصورة عامة، دون الالتفات إلى التفاصيل. وقد أسهم بشكل كبير الإخوة المتخصصون في هذا الجانب، الذين تخرجوا في أقسام علم الاجتماع؛ كالكتور محمد صالح أيوب، والأستاذ مهدي صالح، والأستاذ موسى أبو بكر

بطحة... وغيرهم كثير، من المتخصصين وغير المتخصصين؛ لأن الشأن الاجتماعي يهتم الكثير من المثقفين، ومن هنا إن لاحظ أحدهم ظاهرة أرقته، فإنه يقوم بطرحها كمشكلة اجتماعية، ويحللها، ويبين مساوئها، ثم يضع الحلول المقترحة لها. من بين تلك المقالات، هذا الذي كتبه الأستاذ مهدي صالح بصحيفة أنجمينا الجديدة^(١٨)، حيث تناول: انتشار المجانين في الشارع... ظاهرة تلفت الانتباه!!! هكذا وضع عنوانه. يقول في إحدى فقراته:

"إن انتشار المجانين أو المختلين عقليا في كل مكان من المدن الكبيرة، والأقاليم والمراكز الإدارية في البلاد من المشاهدات المألوفة. مع أن أغلبهم في العاصمة أنجمينا، نظرا لكثرة ساكنيها، ما تمر بشارع إلا وتقع عينك على مجنون في قارعة الطريق، وهم جعلوا من أرصفة الطرقات أو ملتقياتها أو الأسواق ومواقف السيارات مكانا لإقامتهم، أو مأوى لهم، ومن الكرتون غطاء لهم، وهم في أسوأ أحوالهم المعيشية مما يتجلى من مظهرهم البائس، منهم من يمشون نصف عراة، وأحيانا عراة تماما، مع كون ذلك محرر للآخرين... ومنهم من يظهر بثياب ممزقة، والبعض منهم يتصفون بالعوانية والهيجان تجاه الآخرين... تراهم يهيمون ويترنحون، يتحدثون على طريقتهم الخاصة، كدمدمات، وهمهمات، وصراخات أو ضحكات بين الحين والآخر، شكلهم غريب، وشعرهم ملتو... أو متطاير سيئ المنظر... حالهم يشعرك بضياعهم، يعيشون على ما تجيد به أيادي الخيرين والمحسنين من الناس، وأحيانا يقتاتون من المزابل، ويشربون من المياه الراكدة... ما يجب أن نطرحه على أنفسنا وبصوت عال: أين الجهات ذات الاختصاص المسؤولة عنهم؟ أين أصحاب الضمائر الحية في المجتمع؟ ولماذا تخرى عنهم ذوهم؟ حتى الجمعيات الأهلية الحقوقية العاملة في البلاد لم نسمع عنها يوما من الأيام تناولت قضيتهم لا من قريب ولا من بعيد... في النهاية هم شريحة تمثل جزء من المجتمع، وأنه أمر لم يعد يحتمل السكوت عنه، فلا بد من تحريك كافة أجهزة الدولة وعلى رأسها وزارة الصحة والشؤون الاجتماعية... لاحتوائهم في مراكز... آمنة خاصة بهم، وتهيئ لهم

^(١٨) - يراجع: انتشار المجانين في الشارع... ظاهرة تلفت الانتباه!!!، مهدي صالح، صحيفة أنجمينا الجديدة، عدد رقم (٣٥٢)، صادر بتاريخ الاثنين ٧ أبريل ٢٠١٥م.

سبل العيش الكريم، لأن جميع الإعلانات والمبادئ والمواثيق الأممية لحقوق الإنسان تنص وتؤكد على ضرورة وضعية هذه الفئة... وإحاطتهم بما يكفي من رعاية اجتماعية".

واضح أن الكاتب من أصحاب الاختصاص، نظرا لإحاطته بالمشكلة، وتناولها بمنهجية علمية صائبة، وتوصيفها بوضوح دقيق، ووضع الاقتراحات والحلول الناجعة، لأن رعاية المختلين أمر ضروري، واجب على المجتمع كفالته، وتطبيبهم حتى يستفيقوا إلى رشدهم.

والملاحظ أنه يعبر عن مراده بشكل عفوي، وبأسلوب يقترب من العامية في بعض الأحيان، لأن ما يهمه أمر إيصال رسالته، وأن يفهم الجميع قصده، دون تكلف ولا تأنق.

٤ - المقال السياسي أو الوصفي:

يتميز المقال السياسي بالسهولة، والوضوح، والقصر غالبا، وينشر في الصحف اليومية والمجلات، ويقرأه جميع الأفراد، لذا يقوم هذا النوع على فكرة منظمة، بعيدة عن التعمق في التفكير، مع تجنب الزخرفة اللفظية، والتحليق بالخيال، كي يكون قريبا من الأفراد وذوقهم، والذي يميل إلى البساطة والجمال الفطري.

لكن من الواضح أن المقال السياسي في الصحافة العربية التشادية تأخر كثيرا، عما هو في الصحافة الناطقة بالفرنسية، نظرا للدعم والحماية، والانتشار الذي تحظى به الصحافة المكتوبة بالفرنسية، عكس الصحافة العربية، فإنها محدودة التمويل، كما أن أصحابها لا يطمنون على عدم الملاحقة السياسية أو العسكرية، ومن هنا أصبح لزاما عليهم توخي الحذر، فقد تأكد أن الاقتراب من الكتابة السياسية الجريئة يعرض صاحبه للسجن والتعذيب، حيث تم القبض على الأستاذ علي آدم علي، الكاتب بصحيفة أنجينا الجديدة، وهو بالعاصمة السودانية الخرطوم، في العام ٢٠١٢م، قامت المخابرات السودانية باعتقاله، وأدخلته السجن، وبقي خلف القضبان سنة كاملة تقريبا، ثم أطلق سراحه مؤخرا، فقد زاد هذا الأمر من خوف الصحفيين كثيرا، وجعلهم يناون بأنفسهم، ويؤثرون السلامة.

لكن في الآونة الأخيرة مع مطلع عام ٢٠١٥م، بدأت تنصدر المقالات السياسية الصحافة العربية التشادية، وإن كانت مترجمة عن الصحافة الفرنسية، كالسجال الذي دارت رحاه بين الأستاذين: محمد نور عبيدو، رئيس الوفاق التشادي للدفاع عن حقوق الإنسان، ووزير البسطة وتكنولوجيا المعلومات دوسة ديبلي إيتو، وقد نشرت مقالاتهما بداية بالعدد (٣٥٦) سنة ٢٠١٥م، بصحيفة أنجمينا الجديدة، وفي كل عدد يقوم السيد محمد نور عبيدو بتوجيه اتهام إلى السيد دوسة ديبلي - باعتباره مديرا لشركة SNER العاملة في مجال رصف الطرق وبناء الجسور، متهما إياه باستغلال موقع أخيه الأصغر إدريس ديبلي كرئيس للدولة، فقام بتخصيص الشركة، بعد أن كانت ملكا عاما للشعب، وحولها لقطاع يملكه هو، وفي العدد القادم يقوم الوزير دوسة بالرد والدفاع عن نفسه؛ يضع الحجج والبراهين التي تؤيد ذلك، لكن عندما لاحظ الاثنان انتشار قضيتهما في الوسط الاجتماعي والسياسي أكثر من اللازم، وعبر صحيفة (أنجمينا الجديدة)، توجه الاثنان مباشرة إليها، وتبادلا الأعداد، ثم يتدخل كتاب آخرون لمناصرة طرف على طرف، فأصبحت الصحيفة ساحة للمبارزة الفكرية، ومنبرا للكتابة السياسية الجريئة، مما أضفى على الصحافة العربية التشادية مكانة معتبرة.

ثم مع مطلع العام ٢٠١٦م، وبداية الأزمة المالية، وحالة الإضراب التي عمت البلاد، وشلت الحركة لفترة طويلة، بعد حالة النقشف التي فرضتها الدولة على العمال، خرج كثير من الكتاب عن صمتهم، ملقين اللوم على سوء في تسيير مقدرات الدولة، والرشوة، واختلاس المال العام في وضح النهار، دون خوف من أي رادع، وكذلك نقشي ظاهرة المحسوبية، وانعدام الرقابة القانونية، هي التي أوصلت البلاد إلى هذا الوضع المذري، ومن هنا يطالبون الحكومة باتخاذ إجراءات صارمة للحد من تلك الظواهر. ومن هنا انبرت أقلامهم للكشف عن كثير من الملاحظات، والأسباب الحقيقية وراء الأزمة، وإعطاء حلول كفيلة للخروج منها. ومن بين تلك المقالات افتتاحية كتبها الأستاذ آدم علي آدم، رئيس تحرير صحيفة (أنجمينا اليوم)، على صدر صفحتها الأولى، فيقول: "إن عملية الإصلاح- إذا أرادت الدولة ذلك- لا بد لها من أثمان وتضحيات، يقدمها السيد الرئيس أولا، وبعدها سيقفدي به الآخرون، لا بد له أن يبتعد قليلا عن الإدارة

الأسرية للدولة، بحيث لا يقدم أبناءه وذويه لشغل مناصب كبيرة، لا يمكن لأي جهة كانت محاسبتهم على ما يقدمون، ولا بد للرئيس أيضا أن يحاسب أركان نظامه الكبار، المتورطون بشهادة القضاء والحكومة والشعب في اختلاسات كبيرة جدا، وما زالوا مقربين منه أمثال: زين بدا عباس، وهارون كبادي ... وغيرهم، ولا يمكن للمواطن المغلوب على أمره أن يثق في الحكومة بهذه الوجوه المتكررة في المشهد السياسي، أما إذا لم تكن هناك أي تضحيات ولا تنازلات فاعتقادنا وإن تم تشكيل حكومة جديدة، فلا تغيير يحدث، ولا إصلاح، ولا هم يفرحون^(١٩).

مثل هذه اللغة لم نعهدها من قبل، بل إن الصحافة العربية وسمها بعض النقاد أنها صحافة البلاط، صحافة تسابير النظام، تلمع مسعاه، وتشجعه في نهجه العملي، دون أن تلتفت إلى الهنات والسقطات والغلطات، التي لازمتها منذ أن وصل إلى سدة الحكم. إلا أن الأمر اختلف والنظرة إلى الواقع تباينت، خاصة بعد بروز الإعلام العربي (الحر) على الساحة، واكتساحه للإعلام الرسمي، والجرأة التي تميز بها، ثم اتساع الأفق التعليمي لدى الكثير من أبناء تشاد، بعضهم التحق بجامعة الدول الأخرى، وتأثر بالحراك الطلابي فيها، وعاش الكثير من المظاهرات التي جابت شوارع المدن، تطالب بالإصلاح السياسي والاجتماعي، وبعضها استطاع أن يسقط حكاما، ويستبدل أنظمة، فكان الغليان الشعبي أقوى من دوي الدبابات، والمدافع الكبيرة. كما كان لظهور الصحافة الاجتماعية عبر الانترنت أثرها الفعال، لاشتراك الكثير من الناس، وسهولة التعامل، وسرعة الانتشار، والحرية الكاملة في إبداء الرأي، كل ذلك كان له أثر في عقلية المواطن التشادي، وفي عقلية المثقف على وجه الخصوص، فجاءت النتيجة أن نشهد مثل هذه الكتابات الجريئة، والمعبرة بقوة وانفعال، وحماس يتجاوز المعقول في بعض الأحيان.

٥ - المقال الديني:

وهو عبارة عن مقال اجتماعي تنصده وجهة نظر دينية، تتخللها الأدلة والبراهين من الكتاب والسنة. وهذا النوع من المقالات له أهمية بالغة في المجالات الإسلامية، لأن

(١٩) - عدد رقم (٤٦٦) الاثنين ١٥ مايو ٢٠١٧م.

البعد عن الدين وانشغال المجتمعات الإسلامية بمحدثات العصر، جعل البعض يتخلى عن العادات والتقاليد والقيم الإسلامية الرفيعة، التي رفعت من شأن الإنسان، وأعطته جميع حقوقه، دون تمييز لعرق أو لون، ولذا يجب الإكثار من هذا اللون من المقال للضرورة البحتة. وهذا النوع من الكتابة- أيضا- عرفته الصحافة التشادية، وتطور معها تطورا ملحوظا، خاصة بعدما وصلت ثورة الإنقاذ إلى الحكم، وأعطت لرجال الدين مكانة، استطاعوا من خلالها تقديم خدمات جليلة، نافسوا بها الوزارات الحكومية؛ أنشأوا المدارس والمعاهد والجامعات، وبنوا المستوصفات والمساجد، وجلبوا الرعاية للأيام والأرامل، ودفعوا بالعمل الإسلامي خطوات نحو الأمام. ولكن أي عمل يقوم به الإنسان لأبد وأن يشوبه القصور، وتعتريه بعض الهنات والسقطات. وبعض الأعمال التي تنفذ لا يستشار فيها أهل الأمر، مما ولد غبنا لدى البعض، فمنهم من سكت، ومنهم من آثر الكتابة، كي يكشف عن حقائق الأشياء، لعلها تكون سببا في إصلاح ما اعوج، ومن بين هؤلاء، الدكتور محمد البين، صاحب القلم الناصع. يقول في إحدى مقالاته التي ينشرها بصحيفة (أنجمينا الجديدة)^(٢٠):

"سألني صاحبي عن ظهور" الفساد في البر والبحر "أهو نقصان البركة أو قحط المطر أو غلاء الأسعار المتزايد بهبوط سعر البترول أو فساد الملح الذي يصلح الطعام، وهم الدعاة الذين هم صمام الأمان من إغراق السفينة إن أرادت معالجة نوع من الفساد الظاهر المتعدي، فعليك استصحاب قوله: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم)، (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى)، (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل). فإن بلهارسيا بعض المهلوسين صارت داء عضالا لأبد من موجات صوتية، وإلا استفحلت واستحالت لشرطانات قاتلة تحتاج لخبير يتسم بإحساس الفكر، وصدق الكلمة من العلماء المتمسكين بالنص، لا العملاء الذين يركبون عمق التيار، أو ينحون وجه الطرد، فسلب العموم غير عموم السلب!".

فانظر إلى هذه اللغة الجميلة، ذات الإيقاع الرصين، قوية إلى درجة الصلابة، بأسلوب يأخذ الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني والثقافي، يأخذه كله،

(٢٠)- أنجمينا الجديدة، عدد رقم ٣٥٥، صادر بتاريخ ٢٧ أبريل ٢٠١٥م.

فيمر على الواقع برمته، مع القفز على بعض التفاصيل، وهذه يتركها للقارئ كي يتحقق منها، لأنه يرى الوضع كله يحتاج إلى إصلاح، وطالما تسارعت الأحداث، وكثرت الأوجاع، حتى حار الناس إلى أي الطرق يسيرون، وبأي الوسائل يأخذون؛ لم يعد الفقيه ورعا تقيا، يلجأ إليه المذنبون ليضع لهم أوصافا طبية تخلصهم مما هم فيه، بل صار هو مثلهم. ولم يعد المعلم مربيا، بل أصبح هو كذلك يحتاج إلى من يوجهه ويزجره، ولم يعد الحاكم عادلا، بل أصبح قاتلا للعدل، وسالبا للحقوق، وناهبا للمال العام. من هنا جعل صاحب المقال لزاما عليه أن يمر على الطيف كله برمته، إذ لم يعد المجال سانحا، كي يقدم لأحدهم علاجه، ويؤخر حق الآخر، لأن الكل مهم، والكل بحاجة إلى منقذ، ومن هنا حتم على كتابه الأخذ بجميع القضايا دفعة واحدة، خاصة ونحن في زمن السرعة، ليس هناك من فسحة كي تقدم للمقال، وتؤطر له، بل عليك أن تهجم على ما تريد صراحة. لذا نجد المقال الديني عند الدكتور محمد البين وأمثاله تطور إلى هذه الدرجة، وصار على أيديهم مواكبا لروح العصر.

٦- المقال العلمي:

يتميز هذا النوع بالعناية بتقرير الحقائق، وترتيب الأفكار، ووضوح العبارة ودقتها، واستخدام المصطلحات العلمية، والاعتماد على الإحصاءات والأرقام، والابتعاد عن الزخارف اللفظية، والمحسنات البديعية، فالكاتب لا يسعى من خلال مقاله إلى إثارة العواطف، بل مخاطبة العقول، وتحديد المفاهيم العلمية^(٢١). وقد عرف المقال العلمي طريقه إلى الصحافة العربية التشادية منذ ظهورها على الساحة، لأن غالبية الصحف التشادية لم تقم على أكتاف محترفين، إنما قامت على أيدي علماء يمارسون كتابة الصحافة. إذن من الطبيعي أن يكتب هؤلاء كتابة علمية. ومع مرور الزمن احترفت الصحافة، وتخصص الناس فيها كعلم، يمارس بمهنية، عندها تقنت، وتنوع الكتاب، وتنوعت مقالاتهم حسب تخصصاتهم، وميولهم العلمية والثقافية.

(٢١) - ينظر: في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر، القاهرة- مصر، ط٨، ١٩٧٣م، ج١، ص٥١٦.

ومن الكتاب الشباب الذين التزموا بأعمدهم العلمية؛ الدكتور القاسم محمود زكريا، كتب كثيرا عن القصص القرآني، بصحيفة (أنجمينا الجديدة)، نتناول إحدى قصصه، التي تحدثنا عن النملة في القرآن الكريم، فيقول: (٢٢) "قال الله تعالى: وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون* حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون* فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)" (٢٣) انتقاء النمل دون غيره من الدواب على الأرض يفصح عن إمتاع له قيمة، لاسيما إذا أدركنا أن هذا الحيوان قد انتقي وهو بحجمه الصغير جدا؛ لكي تتعمق قناعة المتلقي، لأن تعليم منطق كل شيء قد استغرق حتى منطق الطير، هذا فضلا عن أن النمل نفسه له سلوكه المتميز المدهش المثير، في تحركاته، وإدراكه. والتقاطه للطعام، وبناء مساكنه، وما إلى ذلك.

أما من الناحية الفنية، فالنملة في هذه القصة، لها سمة الشخصية العاقلة الناطقة التي تفكر، وتحذر أخواتها، وتخيفهم من أن ينالهم الشر، أو يصيبهم الأذى؛ ولذا تطلب منهم دخول المساكن، حتى لا يحطمنهم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون". فالكاتب هنا لم يثر أي ظاهرة، سواء كانت سياسية، أو اجتماعية، أو أدبية... أو غير ذلك، إنما سعى إلى استجلاء حقائق علمية تضمنها القرآن الكريم، فصار يكشفها للناس، ويقف عند حقائقها، ليبصرهم، لعلهم يتدبرون ويفقهون.

على كل حال فإن الكتابة الصحفية تطورت تطورا كبيرا في أعوام السنين الماضية؛ نظرا لهامش الحرية الذي أتيح للكتاب، والمسابقات الدورية التي يقيمها المجلس الأعلى للإعلام، والتي يشارك فيها جميع الكتاب سواء بالعربية أو الفرنسية، والدورات التدريبية التي يتلقونها بين الفينة والأخرى، كل ذلك قد دفع بالكتابة الصحفية إلى الأمام، وإن كانت في بداية المشوار، لكن التقدم الذي أحرزته مقدر، ينبغي الإشادة به.

(٢٢) - صحيفة أنجمينا الجديدة، عدد رقم (٣٥٥) ليوم الاثنين ٢٧ أبريل ٢٠١٥م.

(٢٣) - سورة النمل: ١٧- ١٨.

خاتمة

يعتبر المقال من فنون النثر الهامة جداً، يقوم على تسليط الضوء على فكرة ما، يلفت الكاتب الأنظار إليها، منطلقاً من خلفية معينة؛ دينية كانت أم سياسية، علمية كانت أم أدبية، إلى غير ذلك من أنواع الكتابة، والخلفيات التي يتبناها أي كاتب من الكتاب. وكان المقال ولا يزال من الأنواع الكتابية التي يمارسها الكتاب والباحثين من قديم الزمان وحتى اليوم، وقد تطور وواكب جميع العصور، حتى تنوعت أغراضه، وتعددت مشاربه، ومنه القصير، والطويل والمتوسط، يتسع ويضيق حسب الغرض الذي يتناوله الكاتب. ورغم تعدد الصحف، وكثرة الكتاب واختلاف مقاصدهم، إلا أن التمويل، وكثرة المنابر الصحفية، يبقى أمام المقال كثير من العقبات التي تواجه تطوره، منها:

- ١- ظهور الصحافة الشعبية، المتمثلة في الانترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي.
- ٢- ضيق التمويل المالي الذي تواجهه الصحافة العربية المكتوبة.
- ٣- عدم وجود مطابع ذات جودة عالية.
- ٤- غلاء الطباعة الورقية، وضعف القوة الشرائية.
- ٥- قلة الإعلانات الدعائية، التي تغطي جزء كبيراً من ميزانية تمويل الصحف.
- ٦- عدم تلقي الكتاب أي مكسب مادي مقابل مقالاتهم التي تنشر بالصحف.
- ٧- قلة شبكات الطرق البرية، وشبه انعدام شبكة رحلان طيران، وهذا بدوره يعيق توزيع الصحف في المدن المختلفة.

ومن هنا يوصي الباحث بالآتي:

- ١- ضخ الدولة ميزانية كبيرة، تمكن الصحف من مواكبة واقع الحياة.
- ٢- توفير مطابع حديثة، ذات جودة عالية.
- ٣- دفع الشركات للتعامل مع الصحف، ونشر إعلاناتها الدعائية.
- ٤- تشجيع الكتاب ومكافأتهم مادياً على مقالاتهم التي تنشرها الصحف.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الحديث النبوي الشريف.
- ٣- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة- مصر.
- ٤- سيد قطب الأديب الناقد، عبدالله الخصاص، مكتبة المنار، الأردن، ط ١٩٨٣م.
- ٥- صحيفة أنجمينا الجديدة، عدد رقم (٣٥٥) ليوم الاثنين ٢٧ أبريل ٢٠١٥م.
- ٦- صحيفة أنجمينا الجديدة، عدد رقم (٣٥٢)، ليوم الاثنين ٧ أبريل ٢٠١٥م.
- ٧- صحيفة أنجمينا الجديدة، الأعداد: (٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠) لسنة ٢٠١٥م
- ٨- صحيفة أنجمينا اليوم، عدد رقم (٤٦٦) الاثنين ١٥ مايو ٢٠١٧م.
- ٩- فن المقالة، د. محمد يوسف نجم، ط٤، ١٩٦٦، دار الثقافة، بيروت- لبنان.
- ١٠- في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، دار الفكر، القاهرة- مصر، ط٨، ١٩٧٣م.
- ١١- كوكب التشاد، شارع برنس بجانب النصب التذكاري لأميل جانتي، تلفون ٨، ص ب: ١٨، ٧ مايو ١٩٥٤.